دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
**ARCIF** Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
**AIF** Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

# دور حركة ابن فودي السياسية في نشر اللغة العربية بخلافة سوكوتو الإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي

**أمين البدادي**
باحث في سلك الدكتوراه
جامعة الحسن الثاني
الدار البيضاء – المملكة المغربية

## مُلَخّص

*واكب حركة عثمان بن فودي السياسية والجهادية في نيجيريا خلال القرن التاسع عشر أبعاد ثقافية ظهرت معالمها عندما اتخذ من الحرف العربي واللغة العربية أداة أساسية لتدوين فكره ونشره بين أتباعه والممالك المجاورة له، قصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي للبدع، حتى يتمكن من بناء ملكه السياسي على أسس إسلامية على غرار الأسر التي حكمت المغرب في العصر الوسيط، ونتيجة لكل هذا، ساهم ابن فودي في تعريب وإرساء اللغة والحرف العربيين في مجالات جغرافية شاسعة من بلاد السودان الأوسط والغربي وأثمرت معاهده ومدارسه الرسمية إلى جعل اللغة العربية لغة دولة، ناهيك عن تشكيل جيل من النخب العالمة رجالا ونساء أنتجت أعمالاً ضخمة باللغة العربية أدت إلى إشعاع الحرف العربي إلى أن أصبحت اللغات المحلية الإفريقية تكتب به إلى حين مجيء الاستعمار الغربي. توصلت الدراسة إلى أن العلم كان من أهم تلك الشروط التي أعانت عثمان بن فودي في تمرير أفكاره وكسب الأتباع والنفوذ والتمهيد لتوجه دولته الجديدة، التي اتخذت من اللغة العربية، لغة رسمية للثقافة والحضارة، فقد أسهمت هذه الثورة بقيادة ابن فودي على مستوى التغيير والإصلاح إلى ازدهار وانتشار غير مسبوق للغة العربية نثرًا وشعرًا، حتى راحت عنصرًا مهيمنًا في التركيبة الثقافية لمجتمعات السودان الغربي، بمقابل اللغات المحلية التي تراجع دورها، وعليه سيساهم الأفارقة بدورهم خلال القرن التاسع في إغناء الثقافة العربية الإسلامية بمؤلفاتهم الغزيرة.*

## بيانات الدراسة:

| | | | |
|---|---|---|---|
| تاريخ استلام البحث: | ١٠ | يوليو | ٢٠٢٢ |
| تاريخ قبـول النشـر: | ١٧ | أغسطس | ٢٠٢٢ |

## كلمات مفتاحية:

عثمان بن فودي؛ الحرف العربي؛ اللغة العربية؛ الثقافة الإسلامية؛ خلافة صكتو؛ تاريخ الأديان والتصوف

## معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2022.299586

## الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أمين البدادي. "دور حركة ابن فودي السياسية في نشر اللغة العربية بخلافة سوكوتو الإسلامية خلال القرن التاسع عشر الميلادي".- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة- العدد السابع والخمسون؛ سبتمبر ٢٠٢٢. ص ١٤٨ – ١٥٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

**Corresponding author**: boudadiamine2@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّوريةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

## مُقدِّمَةُ

نجح عثمان بن فودي في خلق كيان سياسي قوي بمقومات إسلامية، مترامي الأطراف بالسودان الغربي، كانت عاصمته صكتو خلال القرن التاسع عشر، لم يسبقه إليه أحد ممن سلف من الدعاة والإصلاحيين[١] الذين اتكلوا على منطق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع[٢]، تغطية على هدفه في امتلاك الملك، وبالتالي نرى أن التجربة السياسية الفودية استثنائية بجميع المقاييس، فهي لم تكن وليدة الجوانب الحربية فقط، وإنما نعتقد في هذا السياق أن فعالية الاستراتيجية التي اتبعها دان فودي في بناء ملكه أثناء البدايات الأولى لدعوته، مدينة إلى توظيفه العلم والتعليم العربيين معا في خدمة مشروعه السياسي، الذي أسهم في التعريف بحركته أولا، ثم ثانيا مهد له عددًا كبيرًا من الأتباع تحت تصرفه، اتخذهم حملة لفكره ودعامة لإشاعته بين العموم والدفاع عنه بمقابل أعداءه من أنصار النظام القديم الوثني، أو تلك الأنظمة التي تجمع بين الإسلام والوثنية[٣].

هكذا، اقتضى هذا التصور الإيديولوجي الحضاري المدعم الأساسي لروح دعوته، تأليف الكثير من المؤلفات والمخطوطات المأثورة، كانت غالبيتها باللغة العربية[٤]، تتناول مبادئه الدينية والروحية والدنيوية، شكلت يقظة فكرية على غرار ما شهده المشرق العربي في نفس المرحلة، وقد أغنت الثقافة العربية الإسلامية، وجعلت مجال الهوسا قلب الخلافة يدين كتابة وقراءة بالحرف العربي، ويقبل على اللغة العربية إقبالا منقطع النظير في أنشطته الثقافية، وهذا كله كان تحت تأثير سياقات المرحلة ومتطلباتها، التي فرضت ضرورة شن حملة تعريب واسعة مخطط لها، حتى يصير المجتمع صورة معكوسة للبلاط الفودي، الناشد التغيير والإصلاح بتدبير الواقع بفكر عربي إسلامي. عمومًا خلفت الحركة الفودية حضورا قويا للحرف العربي في خلافة صكت، وكذا في النسيج الثقافي لإفريقيا جنوب الصحراء برمتها[٥] سواء قبل الاستعمار أو بعده، ولو اختلفت حدة التأثير باختلاف المراحل والسياقات الفاعلة[٦].

تنبئ الرسائل المتبادلة بين السلطان سليمان وعثمان بن فودي على المكانة الاعتبارية للغة العربية هنالك، إذ أبرز السلطان المغربي أن "الرسول المبعوث إليه كان يتحدث بلسان طلق غير ذي عوج كما أن الرسائل صيغت باللغة العربية"[٧]، وفي هذا دليل ساطع على الازدهار والرقي الذي كانت تعيشه اللغة العربية في ظل خلفاء صكت الثلاثة (عثمان ابن فودي وأخوه عبد الله وابنه محمد بلو)، الذين برعوا في إتقانها، فأتاحت لهم التوصل إلى مصادر التشريع الإسلامي، وعهدوا بكثرة التأليف بها تاركين ورائهم موروثًا ثقافيًا مكتوبًا كثيفًا من المخطوطات العربية، ينيف عن ثلاثمائة مخطوط[٨]، وبهذا كان عثمان بن فودي من رواد نشر اللغة العربية والتأليف بها في السودان الغربي[٩].

**إذن فمن هو ابن فودي؟ وإلى أي حد ساهمت حركته السياسية في ترسيخ الحرف العربي في السودان الغربي؟ وما هي العوامل التي ساعدته؟ وما آثار ذلك؟**

تهدف هذه الدراسة البحثية، إلى البحث في مدى مساهمة حركة ابن فودي في ترسيخ اللغة العربية بالسودان الغربي، وذلك باستعراض أدواره الرائدة في هذا الصدد، بالتركيز أساسًا على الجوانب الشمولية الحضارية والثقافية، التي تساعد في استجلاء خصوصيات واقع اللغة العربية على عهد بن فودي، ثم تجدر بنا الإشارة إلى القول إن هذه المساهمة تكتسي قيمة مضافة هامة، من حيث انفتاحها على التاريخ الثقافي للسودان الغربي، الذي ظل مغيبا في بعض جوانبه من الدرس الأكاديمي، وفي توجهنا هذا ننفي تقييما أن تكون الحركة الفودية حركة تجديدية فقط[١٠]، دون الاعتراف والإشادة بباقي أدوارها المجتمعية الأخرى التي يشهد لها بها التاريخ.

فضلاً عن هذا سنعتمد في مقاربتنا الأكاديمية للموضوع السالف الذكر على المنهج التاريخي الاستقرائي، الذي يعيننا في الانطلاق للبحث في النشأة والتكوين المعرفي عند ابن فودي والوقوف على الجانب الذي حازته اللغة العربية وثقافتها فيه، ورصد درجة تأثيرها على فكره، ثم الانتقال إلى رحاب أوسع لتتبع الأهمية التي حازتها اللغة العربية ضمن سياساته وإجراءاته منذ بداية دعوته إلى وصوله للحكم.

## أولاً: عثمان ابن فودي مسار النشأة والسيرة: أي دور للتعليم واللغة العربية في تكوين فكره السياسي؟

نشأ عثمان بن فودي في وسط أسري متدين، في إمارة غوبر Gobir، في مكان مرط Marta في أحد مناطق هذه الأخيرة المسماة غلم Galam، سنة ١١٦٢هـ، الموافق للثامن نونبر من سنة ١٧٥٢م. تلقى منذ صغره تعليما دينيا، شكل استمرارا للأصول التعليمية لعائلته، التي تكفل أفرادها نساء ورجالا من أمه وأبيه بالتناوب على تلقينه شتى المعارف، أساسا معارف الدين الإسلامي واللغة العربية دون أن يتركوا المجال لأطراف

غريبة على الأسرة والقبيلة أن تتدخل في تدريسه، ما عدا جبريل بن عمر الأقدسي[11].

وهكذا، نجد أن أسرته كانت سببًا نحو انفتاحه وإعداده للتفوق في دراسة الثقافة الإسلامية ولغتها العربية، وإبعاده عن التأثيرات الوثنية المحلية، وغاية همها في ذلك كان تلبية احتياجاته العلمية والثقافية التي تنبأت في أنها ستساعده في إعداد مشروعه السياسي للوصول إلى الحكم، لذلك ركزوا مبكرا، على تلقينه بعناية قواعد اللغة العربية، لأنها اللغة الوحيدة آنذاك، التي بواسطة التمكن منها يستطيع بسهولة الاطلاع على الموروث الثقافي الديني الإسلامي، الذي يساهم في تثقيفه ويحيله على نظريات سياسية شرعية، تعينه في استنباط فكره السياسي، المنتظر أن يغير به أوضاع منطقته خلال القرن التاسع عشر المتخبطة في المظاهر الوثنية[12].

فكان أول ما استمد على يد أبيه فودي الفقيه، بعد اللغة العربية، في هذا الاتجاه، هو القرآن الكريم، كما ساهمت أمه وجدته وباقي كبار علماء محيطه الأسري في تربيته تربية دينية إسلامية. والظاهر أن وعاء ثقافة عثمان سيتسع عندما يقبل على الاهتمام بالتصوف بإيعاز من عمه وخاله المعروف ببدو بن الأمين بن عثمان بن حم بن عال، الذي فتح عينيه أثناء فترة مصاحبته، على اضطراب أحوال العامة في حوس وعدم تشبثها بالدين الإسلامي الحقيقي، موضحًا له أهمية الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم، وبالتالي يتضح أنه كان له دور كبير في تحفيز ابن فودي على بث دعوته الإصلاحية[13].

ولا يخفى أن استهلال ابن فودي تجربة التصوف دراسة وممارسة، والانتماء إلى الطريقة القادرية[14]، لا يمكن أن يسفر، إلا عن الزيادة في إلمامه بالثقافة الدينية الإسلامية والاحتكاك أكثر باللغة العربية، وإغناء فكره الذي سيصير متأثرا بعلم التصوف، ويشهد على ذلك إنجازه لعملين بارزين "هما لما بلغت" و"السلاسل الذهبية للسادات الصوفية" كانا بمثابة خلاصة تعريفية بمناقبه وسلاسل شيوخه وتجربته الأولية في التصوف القادري ومؤشرا على بلوغه مرحلة الولاية وحيازته للقب شيخو في منطقته[15].

ستسجل سنة ١٧٧٢م، على مستوى تجربته التعليمية، مغادرته للحلقات الدراسية لعائلته للالتحاق بالشيخ والمصلح السياسي جبريل عمر الأقدسي، الذي كان شد الرحال إلى المشرق وتشبع من ثقافة أعلام علمائه، سمحت له هذه الفرصة لا محالة بواسطة شيخه الجديد على إضافة إلى رصيده المعرفي بعضا من مستجدات الثقافة المشرقية، ناهيك عن تعرف وتتبع ما يجري في المشرق من سجالات وما تولد من تيارات دون أن يزوره. وفوق ذلك كان قد أجازه في علوم كثيرة ولقنه مبادئ الطريقتين الخلوتية والقادرية هذا من جهة. أما من جهة أخرى استفاد ابن فودي من بعض أخطاء مشروع شيخه الإصلاحي، الذي شرع في تجسيده مباشرة بعد عودته من الحج، وعمل على تجاوزها، حينما أهله لاستكمال تحقيق برنامجه الإصلاحي الذي فشله فيه[16].

كل هذ التجارب والمحطات الدراسية المتنوعة، ستتيح لابن فودي، الوصول إلى مستوى النضج الفكري في الدراية باللغة العربية وثقافتها. إلى درجة أنه سيكتب بلغة عربية تضاهي أعظم الكتاب العرب شعرا ونثرا[17]، وعليه سيتحول من متلقي إلى منتج ومساهم في إشاعة اللغة العربية والثقافة الإسلامية بغزارة، عند تصدره تحرير فكره في مجموعة مسترسلة من الكتب تركت صدى واسعًا في محيطه لدى الخاص والعام، مما يفيد أنه لا يمكن الحديث عن نجاح الدعوة الفودية سياسيًا دون استحضار المعطى التعليمي، القائم على الحرف العربي والثقافة الإسلامية، الذي ساعده على بناء شخصيته العلمية ووضع مشروعه السياسي الضخم، وبهذا يحق القول أن وجود الدعوة ونجاحها كان رهينا بتعليم الحرف العربي، ولعل ما يؤكد صحة هذا النظر أن طبيعة تكوينه ستنعكس على إنتاجاته العلمية[18]، التي لن تخرج عن إطار الثقافة الإسلامية واللغة العربية[19].

## ثانيًا: النظام التعليمي الفودي ومساهمته في إشاعة الحرف العربي

برز دور التعليم في إشاعة الحرف العربي منذ أوائل دعوة بن فودي، فهو الجانب الأوحد الذي يعبر قبل كل شيء عن أصالة مشروعه[20] لا سيما حين بادر إلى جعله منطلقا محركا لدعايته السياسية، ولم يتردد في الخوض في ممارسته بنفسه ابتداء من سنة ١٧٧٥م، نظرا للأهلية العلمية المتوفر عليها، والتي تسنى له بفضلها التفوق فيه في حوس على الرغم من تعدد العلماء واشتداد المنافسة بينهم هنالك. وتقدر المدة التي أنفقها في التدريس بحوالي ثلاثون سنة، كان قد استهلها بالتعليم العام والتربية الروحية، ثم ما لبث أن اضطر إلى صياغة منهج دقيق يقضي، بتلقين العامة أصول الدين ومبادئ التوحيد وراعى عدم الخلط بين التعاليم الإسلامية الصحيحة والعادات الوثنية، وكان يلجأ إلى أسلوب التعليم المباشر، أي التدريس وجها لوجه، حتى يتقرب من الناس ويلقى دعما وإقبالا[21]، فقد أثمرت جهوده "في

دعوته الخلق إلى دين الله تعالى في كل مجلس حضر فيه"[٢٢] إحياء السنة وإماتة البدعة ونشر العلوم وتفسير القرآن[٢٣].

تنوع المقبلون على حلقاته الدراسية، فهناك العامة من ذوي سوء الأدب وشيوخ أجلة وعلماء حسدة، على الرغم من مناهضة أغلبية هذه الفئات له، تمكن من جعلهم ينصتون اهتمامًا لدروسه التعليمية والوعظية، وتغلب على عائق اللغة على مستوى التواصل في تبليغ أفكاره، لأن نسبة كبيرة من أفراد بيئة مجتمعه لا تتكلم اللغة العربية[٢٤]، عندها استعان باللغات المحلية، خاصة (حوس والفلفلدي)[٢٥]، في ترجمة دروسه وخطبه من لدن أبنائه بعد أن يلقيها باللغة العربية في الأصل[٢٦]، حتى تصل الفكرة للجميع دون استثناء[٢٧]، ولقد أشادت بعض الروايات التاريخية بالتعدد اللغوي الهائل لدى بن فودي، الذي سهل عليه التواصل وتمرير أفكاره للجميع، وفي هذا المقام لا يسعنا، إلا ذكر ما قاله الوزير عبد القادر بن محمد البخاري "أجمع أهل زمانه من المشائخ بل وجميع العوام الذين كانوا حاضرين بين يديه على أنه ما زاره أحد من الناس من أهل البلاد القاصية وأدانيها إلا ناداه باسمه ويسئله عن أهله وانسابه وجيرانه ويخبر الناس عن بلده ويكلمه بلغته ولو كان عجميا لأن من عاصروه لم يروا أحدا جاء إليه وهو لا يعرف لغته لأنه عارف بسبع مائة لغة وقد ذكر العلماء أن لغات بني آدم سبع مائة لغة"[٢٨]

وبخصوص برنامج التدريس الذي صاغه واتبعه ابن فودي في ظل نظامه التعليمي، فهو يتمثل فيما يلي[٢٩]:

| | |
|---|---|
| بعد صلاة العصر | تدريس الحديث والفقه والتصوف وتفسير القرآن |
| بعد صلاة العشاء | بث العلوم والإفادة بالغرائب |
| كل ليلة جمعة | وعظ وإرشاد |

يلاحظ انطلاقًا من الجدول أن اللغة العربية والثقافية الإسلامية، كانت تحتل مكانة مركزية ضمن المواد المدرسة في البرنامج الفودي، ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى هذا البرنامج، كان ابن فودي يضيف إليه تدريس بعض تأليفه، كما كان يستأثر الخروج إلى الآفاق والبلدان للدعوة والإرشاد، ثم يعود، فيجد في انتظاره الوفود من الشرق والغرب الراغبة في التتلمذ عليه. وكما كان كذلك من عادته أن يردد في بداية خطبه الوعظية خطبة شيخه عبد القادر الجيلاني، كدليل على تشبعه بعوائد الثقافة العربية، وهنا يلاحظ أن جميع الخطوات التي أقدم عليها بن فودي في تنفيذ تعليم جديد يتلاءم مع دعوته، كانت تخدم مستقبل الحرف العربي في الدولة الفودية وتضفي عليه صفة الرسمية، فالتعليم ساير جميع مراحل دعوته، وخدم مشروعه في تصحيح الاعتقاد، ونشر تعاليمه ومبادئه باللغة العربية التي كانت مختارة للتلقين، فالتعليم إذا قاد إلى نشر الدعوة التي قادت بدورها إلى نشر اللغة العربية[٣٠] في أجزاء كبرى من السودان الغربي[٣١].

ولم تكن المواد المدرسة على مستوى واحد بين جميع الفئات، بل خصص لكل فئة مواد معينة، فمثلاً فئة العوام خصص لها فروض الأعيان، بينما الفئة الخاصة اكتفى بتدريسها فنون العلم، في حين فئة المريدين والسالكين شملها بالتربية والإرشاد إلى الحضرة[٣٢]. كما أقر كتبًا مدرسية معيارية عن اللغة العربية لكل مستوى تعليمي تناسب أهل تلك الفترة[٣٣].

تنبه ابن فودي في بداية نشاط حركته التعليمية أنه يستحيل عليه حمل ثقل مهمة تعليم الناس ومحاربة البدع، وإنتاج أدبيات فكرية توجه موظفين في إدارة دولته الفتية لوحده[٣٤]، لذلك استعان بتلامذته، بعدما انتهى من تكوين جماعته المقربة بنفسه وأعدها علميا ونفسيا بغاية ممارسة التربية والدعوة إلى دين الله، عمل على تقسيمهم إلى قسمين حسب الوظائف المنوطة بهم، فإذا كان القسم الأول المسمى أهل البصيرة، عهد له بمهمة شرح دروسه ونسخ كتبه وجعلها في متناول الجميع وتبسيط رسالة الإسلام إلى الناس، فإن القسم الثاني بعد استكمال تعليمه أوكل له مهمة نشر دعوته في الأماكن القصية من السودان الغربي والأوسط وشحذ الجموع من التلاميذ وبعثها للشيخ للتلقي المباشر[٣٥]. ولم يكتف بهذا بل جسد في الواقع فكرة تشييد مجموعة من المعاهد العلمية داخل خلافته للعناية باللغة العربية وثقافتها وتخريج نخب علمية متخصصة فيها تحمل عبء الدعوة وتخدم مشروعه وهي كالأتي[٣٦]:

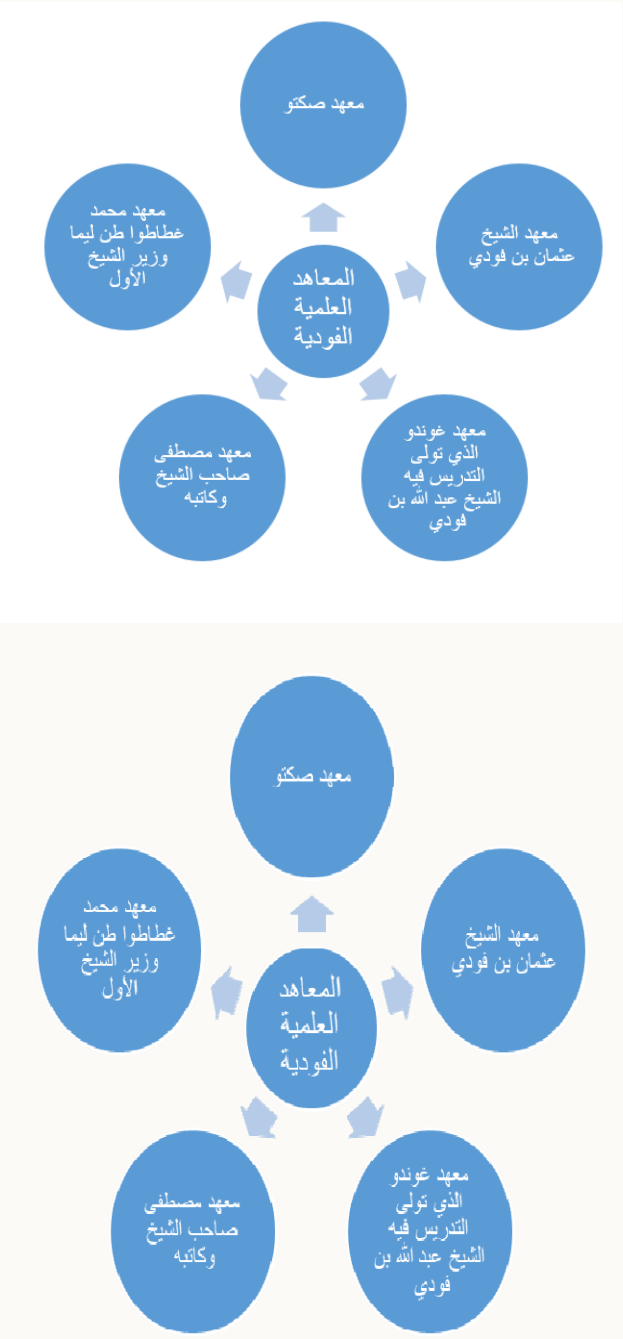





إن تصميم عثمان بن فودي على تصدير دعوته إلى جميع جهات وطنه، في سياق تعظيم نفوذه، حتم عليه تعليق آماله على التعليم وإقرار وجوبه وإشراك جميع الفئات في نشره[٣٧] من أجل تعميمه بين الخاص والعام والمركز والهامش، وهو الشيء الذي كان له تبعات إيجابية على دعوة ابن فودي، حيث ازدادت أعدادها، وفي نفس الوقت انتشر الحرف العربي وتزايد الإقبال عليه في التعليم والدراسة[٣٨]. واتخذت المناهج التعليمية والمعاهد التي أعدها بن فودي خصيصا للتدريس في دولة سوكوتو، من اللغة العربية، لغة رسمية في التدريس، وكذا في حفظ القرآن، وتفسيره ودراسة الفقه والتوحيد. فكتب مؤلفاته الرسمية (الدعوية) بها، لأنها لغة الدين والقرآن، وبالتالي كان انتشار الدين الإسلامي يسايره انتشار اللغة العربية، لأنه يستحيل إقامة فرائض وشريعة الدين الإسلامي، وفهمها بدون إتقان اللغة العربية[٣٩]، مما جعلها في نهاية المطاف، لغة الدولة وسيلة إنتاج ثقافتها وحضارتها على عهد بن فودي. كما لا نغفل أن الكتب العربية المدرسة بالمعاهد المذكورة أعلاه، إلى جانب الكتب التي ألفها عثمان بن فودي وبطانته في مختلف التخصصات المعرفية والأدبية، أحدثت ثورة ثقافية عربية كان لها وقع كبير في دفع المجتمع الفودي إلى الارتباط باللغة العربية والرغبة في الإقبال على تعلمها وإرساء قواعدها[٤٠].

ومن الأسباب التي ساهمت كذلك في انتشار الحرف العربي، نذكر توظيف عثمان بن فودي في صراعه مع أمير إمارة غوبر اللغة العربية كسلاح للإطاحة به، مستغلا ذخيرة أدبية متنوعة شعرا ونثرا في سبيل نشر مبادئه الجهادية وكسر شوكة خصمه في مرحلة الحرب الكلامية قبل ولوج ساحة المعركة، ويصح الكشف أن الشعر شكل مادة أدبية لا غنى عنها في الحروب لدوره في إذكاء حماس المتحاربين، لذلك استوصى به عثمان بن فودي أقرباءه وأنصاره، حيث أسهموا فيه بقوة ويعتبر من أسرار نجاح معاركهم المتعددة، ويظل بن فودي أول من قرض الشعر بلغة الفلفلدي في السودان الغربي، كما كانت له مجموعة من القصائد باللغة العربية، كقصيدته "مرآة الفرائض" التي هيمنت على محتواها القضايا الدينية، وخصص قصيدة أخرى من تأليفه في مدح النبي[٤١]. كما يحتفظ لنا محمد بلو بعدد من القصائد الشعرية التي تتغنى بملاحم وبطولات وتؤرخ لمعارك انتصارات ابن فودي ففي وقعة كانو قال ما يلي:

بدأت باسم الله والشكر يتبع
على قمع كفار علينا تجمع
ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من
بلادهم والله في الفضل أوسع[٤٢]

وبهذا ساهم التدوين الشعري، الذي كان يواكب المعارك الفودية في نشر اللغة العربية وجعلها أسلوب تعبير عما يختلج النفس من مشاعر الفرحة والسرور بالنصر[٤٣]. إدراكا من ابن فودي بأهمية العلم في الإيصال إلى السلطة، ضيق على العلماء، حتى لا يصير محط منافسة، إذ صاغ شروط يجب أن تتوفر فيمن ينوي التقدم للتدريس واستقبح سلوك بعضهم التي يسعون إلى الوصولية من باب العلم من خلال التقرب من السلاطين ومحاباتهم. وتفطن إلى استعمال اللين في الخطابة،

حتى لا ينفر منه أحد وتظل دعوته وحركته متواصلة النجاح وموحدة الصفوف، لأجل ذلك كان لا يدعو أتباعه، إلا بعبارة إخواني[٤٤].

## ثالثًا: المرأة في خدمة نشر الحرف العربي

تميزت المرأة العالمة ضمن الدولة الفودية بأدوارها الرائدة على مستوى النشاطات العلمية والدينية المقررة، وذلك راجع لأن سياسة الدولة الأخيرة تجاه المرأة كانت مساعدة ومشجعة، مما أتاح بروز نساء عالمات كان لهن أثر بارز في الحركة العلمية التي قادها ابن فودي، الشيء الذي جعل الحقل العلمي آنذاك يحفل بإنتاجاتهن المتنوعة، زيادة على أدوارهن العملية المهمة في التعليم والوعظ، ومن النساء اللواتي اشتهرن في هذا الصدد بدرجة كبرى بالمقارنة مع أخواتها خديجة وصفية ومريم، نشير إلى السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي التي كانت عضوا نشيطا في حركة أبيها الإصلاحية.[٤٥]

جعل الإعداد السياسي القبلي ابن فودي يضع المرأة نصب عينيه، كطرف فاعل في دعوته ومساند لمشروعه، إذ أقحمها في تعليم وتدريس، كل ما يتعلق بالثقافة الإسلامية واللغة العربية، وقد أعد زواجاته وبناته اللواتي أشرف بنفسه على تلقينهم، أطرا مدرسة لباقي النسوة الأخريات. وتعتبر ابنته أسماء أبرز من اشتغلت طويلا في تعليم النساء إلى جانب مشاركتها المتعددة في مختلف الأنشطة الاجتماعية والسياسية والركون إلى التأليف والإبداع، فاشتهرت إزاء ذلك بغزارة التأليف بلغات مختلفة وعرف تنظيمها التعليمي تحت اسم "ين تارو" Yon taro [٤٦].

تنحصر أسباب التركيز على دراسة نموذج السيدة أسماء بحكم أنها كانت كثيرة التأليف والترجمة والتمايز على مستوى شخصيتها الثقافية هذا من جهة، أما من جهة أخرى مبادرتها في الإشراف على إطلاق مشروع تعليمي مستجد، يكفل للمرأة التعلم سمي ب **"يان تارو"** كما مر ذكره، إذ كانت تستقبل النساء والفتيات من القرى وتسهر على تلقينهم المواد المعرفية المتعلقة بالتعليم العربي الإسلامي من قبيل القرآن والتفسير والحديث والفقه، ولم يتوقف دورها عند هذا الحد، بل اعتنت بتلقينهم قواعد اللغة وأبجديات الكتابة، ووضعت في متناولهم جملة من الكتب المساعدة وكانت أبوابها مفتوحة أيضا في وجه النساء المتفرغات من المسؤوليات الاجتماعية التي كانت تخصص لهن تدريبا يسمح لهن بممارسة مهمة التعليم بعد انقضاء مهلة التدريب[٤٧].

لقد أثمرت جهود العالمة أسماء بنت عثمان بن فودي على محاربة الجهل والأمية في صفوف نساء الأرياف، ومكنتهم من التعلم ونشر الثقافة العالمة في أوساطهن بعد انتهاء مسارهن التعليمي، ناهيك عن مساهمتها في تخريج فئات من المعلمات كانت كل واحدة منهن يناط لها مهمة تعليم مجموعة من النساء وتحمل لقب جاجي Jaji، وعموما كانت مهنة التدريس لصيقة أكثر بالمتعلمات من النساء في خلافة سوكوتو الإسلامية[٤٨].

نادى بن فودي بتعليم المرأة في فلسفته التعليمية داخل دولته، ولم يتراجع في ذلك أمام منتقديه[٤٩]، رغبة منه في تعميم دعوته بين جميع أجناس وفئات مجتمعه، حتى يكثر من أعداد أنصاره الذين من المنتظر أن يشغلوا وظائف في دواوين دولته العصرية. ولا شك أن هذه الالتفاتة المقصودة إلى المرأة، ستجعل من اللغة العربية أكثر مركزية ورسمية داخل الأوساط ليس السياسية فحسب، وإنما أيضا المجتمعية[٥٠]، مما سيجعلها في وضع مدعوم كلغة وافدة . تخدم مشروعه . تضاهي فيه وجود باقي اللغات المحلية السائدة[٥١].

بالجملة أن ما حمله ابن فودي من مشروع سياسي وضع له مقوماته الثقافية المعلومة، ومكنها في البداية من أفراد بيته من خلال إشرافه بنفس على تدريس زوجاته وأبنائه وبناته، لذلك كانوا من الأوائل الذين دعموا دعوته عبر قنوات التعليم والتوجيه وشاركوا في حركته الإصلاحية السياسية. ومن الآثار العلمية التي تركتها العالمة أسماء بنت عثمان بن فودي نذكر من أهمها تذكرة الغافلين الذي هو عبارة عن نصائح ونواهي، كما لها تصنيف حول خصائص القرآن وتصانيف عديدة في ميدان الترجمة، حيث كانت تعمل على نقل الأعمال المكتوبة باللغة العربية إلى لغات الهوسا والفلانية، ناهيك عن أعمالها الشعرية التي كانت مناهج دراسية تلقن في مدارسها للنساء وكانت مواضيعها تتعلق بالقرآن الكريم والتصوف ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام، فضلا عن دروس في الجهاد والتاريخ وطرق العلاج[٥٢].

## رابعًا: آثار حركة ابن فودي السياسية على واقع اللغة العربية

على الرغم من قصر عمر التجربة العلمية الفودية، إلا أنها خلفت زخما علميا، استفاد منه ابنه محمد بلو، فألف كثيرا باللغة العربية وقواعدها، حتى صار معروفا بين العلماء بأهليته الكبيرة فيها، وبناء عليه اتخذه والده كاتبا خاصا لمراسلاته، حيث لعب دورا كبيرا في الاضطلاع بكتابة عدة رسائل في سياق المنافحة

عن شرعية والده لدى بعض الأمراء والعلماء في غرب إفريقيا، فكاتب أمير برنو موضحا له سبب قتال أبيه لأمراء الهوسا موصيه بعدم مساعدتهم وملتمسا منه الإجماع على تأييد حركة والده. والملاحظ إن الداعي إلى تبرير المواقف في خضم السجال السياسي بين الزعامات سيجعل من اللغة العربية وتناسل المخطوطات المدونة بها أداة أساسية للتواصل السياسي والدبلوماسي، كما يتبين أن اللغة العربية أضحت من الخواص الثقافية الأساسية في الشخصية العلمية لدى الحاكم العالم بالغرب الإفريقي[٥٣].

ومن آثار حركة ابن فودي التعليمية تشكيل جيل من العلماء الذين تتلمذوا على يديه يماثلونه التكوين العلمي، انبروا بدورهم إلى التأليف تاركين أثارا علمية مخطوطة في جميع الأصناف والألوان المعرفية، غطى حضورها جميع جهات الخلافة الصكتية، مما يجعلنا نقول إن عدم انقطاع حركة التأليف والإنتاج المعرفي باللغة العربية، زاد في تأكيد شعبيتها كلغة رسمية وخدمها على مستوى الحفاظ على مكانتها الريادية في المحافل الثقافية والدينية، ثم تأتي الترجمة بعدها كحل لتعميم المعلومة[٥٤]. كما أبانت حركة ابن فودي على دور الأفارقة جنوب الصحراء في مساهمتهم في إغناء الثقافة العربية بمؤلفاتهم في الميادين الأدبية والسياسية وحمل مشعل الحضارة العربية الإسلامية، بعدما تراجعت الحياة الأدبية المشرقية من جراء انهيار الخلافة العثمانية الوصية آنذاك على المشرق العربي[٥٥].

إن تميز اللغة العربية بحضور قوي في خلافة صكت، كلغة للتأليف والحكم والإدارة والقضاء والمراسلات جعلها تؤثر في أشهر اللغات المحلية الإفريقية (الفلانية - الهوساوية - السواحلية)، التي راحت تستعمل الحرف العربي في نمطها الكتابي، ثم ما لبثت أن استلهمت العديد من مفردات المعجم العربي ونقلتها إلى تركيبتها اللغوية[٥٦]. عمومًا تظل مرحلة ابن فودي أزهى مراحل ازدهار الحرف العربي واللغة العربية في السودان الغربي[٥٧]. ففي ظرف قرن واحد فقط حقق ما عجزت عنه كل الحركات الدينية الأخرى خلال سبعة قرون[٥٨]، إذ لأول مرة في عهده أصبح ميزان القوى لصالح اللغة العربية والثقافة الإسلامية بمقابل الثقافات الوثنية الأخرى[٥٩]. مهما يكن إن ظاهرة نشر الحرف العربي، التي غرسها ابن فودي في المجتمع الإفريقي، لازال بعض المتصوفة الأفارقة في زمننا الراهن لهم اهتماما بها، ولقد التقطت هذه الظاهرة مشاهدات القادري في زيارته خلال الثمانينيات لعدد من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء[٦٠].

## خَاتِمَةٌ

تطلب من عثمان بن فودي في إرساء هياكل تصوره السياسي الذاتي والعائلي، الهادف إلى إقامة إمارة بهوية إسلامية شرعية، وضع الشروط النظرية والعملية التي تؤهله لتحقيق ذلك الهدف، فكان العلم من أهم تلك الشروط التي أعانته في تمرير أفكاره وكسب الأتباع والنفوذ والتمهيد لتوجه دولته الجديدة، التي اتخذت من اللغة العربية، لغة رسمية للثقافة والحضارة، فقد أسهمت هذه الثورة بقيادة ابن فودي على مستوى التغيير والإصلاح إلى ازدهار وانتشار غير مسبوق للغة العربية نثرًا وشعرًا، حتى راحت عنصرًا مهيمنًا في التركيبة الثقافية لمجتمعات السودان الغربي، بمقابل اللغات المحلية التي تراجع دورها، وعليه سيساهم الأفارقة بدورهم خلال القرن التاسع في إغناء الثقافة العربية الإسلامية بمؤلفاتهم الغزيرة.

## الاحالات المرجعية:

(١) من أبرزهم نذكر جلال الدين السيوطي ١٤٤٥-١٥٠٥م، كان من العلماء الذين زاروا بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط ورام بث حركة إصلاحية بعدما تبين له انحراف أهله عن الدين الإسلامي الصحيح، بانتشار احتراف السرقة واحتراف الوساطة بين النساء والرجال وجور الحكام وتحالف الفقهاء والعلماء والملوك... من زاوية تقديم النصح والإرشاد للنخبة الحاكمة من ملوك وأمراء، فقد اتصل في رحلته بأمير أكذز وكاشنة وغوبر الذين لازمهم بالنصح عدلا بين الرعية وتحكيم الشرع والنأي عن العادات المخالفة للدين الإسلامي، فضلا عن تحريره عدة رسائل كانت عبارة عن فتاوي مقدمة إجابة على بعض استفساراتهم الشرعية، وفي هذا الصدد ألف ذخيرة علمية كبيرة، بلغ تعدادها ستة مائة مؤلف، همت مواضيع متنوعة. بهيجة الشاذلي، الأوضاع الاجتماعية في السودان الغربي في النصف الأخير من القرن الخامس عشر من خلال رسائل الجلال السيوطي، **ضمن الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء غرب إفريقيا نموذجا**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان - أوت/آب ١٩٩٧، صص ٥١-٥٢-٥٥-٥٦.

وإلى جانب السيوطي يعد المغيلي كذلك من العلماء والمصلحين الذين زاروا بلاد السودان في نفس الفترة، وتردد على بلاطات أمرائها في أهير وتكدة وكاشنة الذين حظي بينهم بالحظوة، فأشاع دعوته الإصلاحية والتعليمية بين النخبة والعامة هنالك، ومن آثاره في ذلك تأليفه رسالة في أمور السلطنة لأمير كانو ينصحه فيها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وقد أمضى مدة طويلة في رحاب إمارة كانو نزولا عند رغبة حاكمها أبو عبيد الله محمد، مشتغلا بالتدريس والإفتاء، ويبدو أن المغيلي، استغل إقامته ببلاد السودان والشرعية الدينية ،التي كان يضفيها على حكمهم ليمارس نشر مبادئه الإصلاحية وطريقته القادرية، لاسيما وأنه كان يتمتع بهامش من الحرية ويحظى بدعمهم السياسي. بهيجة الشاذلي، "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" لمحمد بن عبد الكريم المغيلي: ملاحظات أولية، **ضمن محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني**، جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق الدار البيضاء: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تقديم وتنسيق محمد العيادي، مطبعة فضالة ـ المحمدية، بدون تاريخ النشر، صص ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨. ومبروك مقدم، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والمخطوطات التراثية، **ضمن اليوم الدراسي حول أهمية الوثائق العائلية والعامة في كتابة التاريخ**، جامعة وهران، نونبر ١٩٨٨، بحث خاص بحوزة الأستاذة بهيجة الشاذلي، ص ١٨ ـ ١٩. والمميز في زيارة المغيلي لبلاد السودان، أنها كانت زيارة بحمولة علمية أكثر منها سياسية، نشر خلالها أفكاره العلمية في جميع المدن التي زارها، ودعا الأسكيا الأول إلى الاهتمام بالعلم والحركة التعليمية والاتكال عليه، لأنه أساس السياسة الشرعية. سامي سعيد، **مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط: الدين والعلم في عصر الاسكيين ١٤٩٣ ـ ١٥٩١م**، الجزء الأول: نص الدراسة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، السنة الجامعية ١٤١١/١٩٩١م، ص ١٨٤.

نرى مما قيل إن تجربة عثمان بن فودي، ما هي إلا استمرار لما بدأه السيوطي والمغيلي، كما نظن أن اطلع واستفاد من مؤلفاتهما في إعداد واقتباس وصياغة مرجعية فكره السياسي، كما يبدو من الأعمال التي أنجزها أنه تأثر بنمط كتابتهما باللغة العربية ونحا منحاهما في التأليف.

(٢) من البدع التي كانت واسعة النطاق في المجتمع السوداني، نورد ما قاله محمد بل في إنفاقه: "**هؤلاء السودانيون عتاة مردة فيهم السحر الكثير**". محمد بلو بن عثمان فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، تحقيق بهيجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط، مطبعة المعارف الجديدة ـ الرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٦، ص ٧٢. شهد القرن التاسع عشر عصر انتشارا واسعا للعديد من البدع، فواكب ذلك انتشار عدة حركات إصلاحية في العالم الإسلامي، والتي منها حركة ابن فودي، والملاحظ أن بدع المجتمع السوداني، لم تظل حبيسة مجاله، بل انتقل بعضها مع الجالية السودانية التي نزحت إلى المغرب. إذ احتفظت لنا مشاهدات السوداني ابن القاضي، الذي زار المغرب في عهد السلطان سليمان العلوي ببعض مظاهرها. بهيجة الشاذلي، «نماذج من البدع الدخيلة على المجتمع المغربي من بلاد السودان من خلال رسالتي شكاية الدين المحمدي وهتك الستر لأحمد بن القاضي»، **دفاتر البحث**، المجلد الأول، جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق الدار البيضاء، العدد الأول، السنة شوال ١٤٢٢/ دجنبر ٢٠٠١، صص ٢٩٤ ـ ٣٠٣.

(٣) بهيجة الشاذلي، **الفكر السياسي عند عثمان بن فودي**، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، القسم الأول، جامعة الحسن الثاني ـ عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى ناعمي، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ٢٣٨.

(٤) اكتساب السودانيين للغة العربية سابق لعصر ابن فودي، إذ يعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي حين خرج للوجود أول مؤلف سوداني باللغة العربية على الرغم من أن أهل السودان كانوا قد دخلوا في الإسلام منذ منتصف القرن الحادي عشر الميلادي إلا أن بداية تأليفهم باللغة العربية استغرق منهم وقتًا طويلاً. سامي سعيد، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٥) لا نغفل إن المغاربة بدورهم ساهموا في نشر الحرف العربي ونقل الثقافة العربية الإسلامية إلى السودان الغربي قبل، أو على الأقل منذ عهد إمبراطورية غانا سواء أكانوا علماء أو تجارا. كما أسهم استقرار بعض العائلات المغربية هناك وامتهانها للتعليم كعائلة تعلي وعائلة الفلالي وعائلة البلبالي وعائلة الفاسي، في ترسيخ وتأصيل اللغة العربية وثقافتها الواسعة بالمجال السوداني. بهيجة الشاذلي، تنبكتو: تطورها التاريخي وعلاقاتها بالمغرب، **ضمن العلاقات المغربية الإفريقية حصيلة وآفاق**، أعمال مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا، الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق ـ الدار البيضاء، تنسيق وتقديم بهيجة الشاذلي، الطبع صايح كرياسيون، الطبعة الأولى ١٤٣٣/٢٠١٢م، ص ١٠٢. وللإشارة لقد ترك التأثير اللغوي المغربي أسماء عدة بضائع مغربية في لغة الهوسا والفلاني. علي هدهودي، المدارس القرآنية بإفريقيا الغربية ودور المغرب في نشر اللغة العربية، **ضمن العلاقات المغربية الإفريقية حصيلة وآفاق**، أعمال مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا، الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق ـ الدار البيضاء، تنسيق وتقديم بهيجة الشاذلي، الطبع صايح كرياسيون، الطبعة الأولى ١٤٣٣/٢٠١٢م، ص ١١٤.

(٦) مشهود للمملكة المغربية أنها تولي اهتماما خاصا لقضايا اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، إذ سبق وأن دعمت مشروع ثقافي يستهدف محو الأمية في إفريقيا بالاعتماد على الحرف العربي. عبد العلي الودغيري، **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ـ جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٣٢/٢٠١١م، ص ١١٠. سنة ٢٠٠٦، وشارك في هذا المشروع كل من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) والبنك الإسلامي للتنمية واليونسكو ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، كانت تعقد اجتماعات دورية كل ثلاثة أشهر بغاية تتبع وتفقد مجريات المشروع، الذي أثبت فعلا نجاعته في إعادة كتابة إحدى وعشرين لغة إفريقية بالحرف العربي. خالد إبراهيم المحجوبي، الثقافة العربية والإفريقية بين التواصل والتفاصل، **ضمن الثقافة العربية الإفريقية (رؤية مستقبلية)**، الرابطة العامة للأدباء والكتاب، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ٢٣٨.

(٧) بهيجة الشاذلي، علاقة المغرب ببلاد الهوسا خلال القرن التاسع عشر نموذج خلافة صكتو، **ضمن العلاقات المغربية الإفريقية حصيلة وآفاق**، أعمال مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا، الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق الدار البيضاء، تنسيق وتقديم بهيجة الشاذلي، الطبع صايح كرياسيون، الطبعة الأولى ١٤٣٣/٢٠١٢م، ص ١٤٠.

(٨) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي... المرجع السابق، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ١١٩.

(٩) عبد الله عبد الرزاق، الدور الثقافي للشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا، **ضمن اللغة والثقافة في أفريقيا**، أعمال المؤتمر الدولي الثاني، جامعة القاهرة ـ معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، ٢٠٠٨، ص ٤٥٧.

(١٠) عمر جاه، «تقويم جديد لجهاد الحاج عمر الفوتي وعلاقته بجهاد الشيخ عثمان بن فودي»، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ المملكة العربية السعودية، العدد السادس، السنة ٢ ١٤٠٢/١٩٨٢م، ص ٣٠٢.

(١١) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ١٢٢ـ١٢٣ـ١٢٥ـ١٢٦.

(١٢) نفسه، ص ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٧. بهيجة الشاذلي، «من أعلام الثقافة الإسلامية بإفريقيا محمد بلو نموذجا»، **مجلة المناهل**، العدد ٥٦، السنة الثانية والعشرون، جمادى الأولى ١٤١٨هـ/ شتنبر ١٩٩٧، ص٣٨٧.

(١٣) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ١٢٤ـ١٢٥ـ١٢٧ـ١٢٨ـ١٢٩ـ ١٣٠.

(١٤) ترسخت الطريقة القادرية خلال القرن الثامن عشر في بلاد الهوسا، وبات عثمان بن فودي من أبرز شيوخها ورموزها الجدد، وألف الكثير من القصائد بلغته المحلية وباللغة العربية، جاءت متضمنة لتقاليد وصور صوفية، ويعود السبب الحقيقي وراء بروز هذه الطريقة وتشكل أورادها إلى أسباب نفسية وشخصية، دفعت ابن فودي أن اختار القادرية، ووضع أسس فرع جديد طبعه بتصوره الروحي الخاص، ويظهر ذلك من خلال ما تركه من مؤلفات في الطريقة وسلسلتها ومنهجها والتي منها السلاسل الذهبية والسلاسل القادرية وتبشير الأمة المحمدية بفضائل الطريقة القادرية، وقد مكنت هذه المؤلفات الشيخ عثمان بن فودي من نشره لطريقته بصورة واسعة في السودان الأوسط ومحاربته البدع والخرافات المحلية، كما عهد عن أتباعه بقوة الدراسة والتعلم حتى صارت زوايا في عهده مراكزا للذكر وممارسة التعليم والصلاة وإصدار فتاوى التشريع الإسلامي. عطية عومار، **الحياة العلمية في خلافة سكوتو الإسلامية خلال الفترة ١٢٣٣ – ١٨١٧/١٣٢١ – ١٩٠٣م**، جامعة غرداية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، السنة الجامعية ١٤٤٢ – ١٤٤٣/٢٠٢٠ – ٢٠٢١م، ص ١٤٣ – ١٤٤.

(١٥) نفسه، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٦. ١٤٢ ـ ١٤٥. بهيجة الشاذلي، الفكر الصوفي والسياسي عند عثمان بن فودي، **ضمن الإسلام والمقاومات والدولة في إفريقيا الغربية**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، صص ٧٤ـ٧٥ـ٧٧ـ٨٠.

(١٦) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ١٣١ـ١٣٢ـ١٣٣ـ١٣٤ـ١٣٥ـ١٣٦ـ١٣٧ـ١٣٨ـ١٣٩.

(١٧) آدم إبراهيم أحمد، الثقافة العربية الإسلامية في دولة صكة الإسلامية (إحدى ولايات جمهورية نيجيريا الاتحادية)، **ضمن الإسلام في إفريقيا**، المؤتمر الدولي ـ الكتاب الحادي عشر، جامعة إفريقيا العالمية، ١٤٢٧/٢٠٠٦م، ص ٣٤٩.

(١٨) نشير إلى أن التأليف الفودي يتوزع على ثلاث مراحل كل مرحلة ولها مميزاتها: فإذا كانت المرحلة الأولى التي تمتد من١٧٧٤ إلى ١٨٠٤، لم تخرج فيها مواضيع مؤلفاته عن التعليم والتربية الروحية وتفسير أمور الدين، فإن المرحلة الثانية ١٨٠٤ ـ ١٨٠٩، اقتصر فيها على مؤلفات تفرض آرائه ونصائحه وفي هذه المرحلة تمت بيعته. أما المرحلة الثالثة تقع زمنيا بين ١٨٠٩ ـ ١٨١٧، اتجهت فيها حركته التأليفية إلى الاهتمام بالتسيير السياسي. بهيجة الشاذلي، **المخطوطات العربية الإفريقية ودورها في إعادة قراءة التاريخ السياسي لإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن التاسع عشر**، المملكة المغربية وزارة الثقافة والشباب والرياضة قطاع الثقافة، انظر الموقع الالكتروني:www. Minculture.gov.ma ، ٢٤ يوليوز ٢٠٢١.

(١٩) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ١٤٥ـ١٩٠ـ١٩١ـ١٩٢.

(٢٠) Moumouni Seyni, "'Ilm At-tasawwuf dans L'œuvre du Cheikh Uthman Dan Fodio (1754 – 1817)", **al-Maghrib Al-Ifriqi**, Revue spéciale dans Le patrimoine et Les Etudes Africaines, Rabat-Maroc, 7 (2006), p 84.

(٢١) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ١٩٨ـ١٩٩ـ٢٠٠ـ٢٠١.

(٢٢) عثمان بن فودي، **تنبيه الاخوان على أحوال أرض السودان ورسالة من عثمان بن فودي إلى أمير أهير ومسائل (١٤)**، مخطوط خاص، بحوزة الأستاذة بهيجة الشاذلي، ص ٢٠.

(٢٣) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، وثيقة أهل السودان للشيخ عثمان بن فودي وآثارها، **ضمن البردي والمخطوطات العربية في إفريقيا**، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، ٢٠٠١، ص ١٩٠.

(٢٤) على الرغم من ذلك، أبان أهل حوس قدرة على تعلم اللغة العربية والتعبير بها نثرا وشعر، خصوصا بعد إشعاع دعوة ابن فودي ونهضته وتكاثر عدد أتباعه. محمد أحمد بدين، **الفلاتة الفلانيون في السودان الأصل والتاريخ**، مركز الدراسات السودانية، القاهرة ـ جمهورية مصر العربية، ١٩٩٥م، ص ٢٨.

(٢٥) إن هذا التعد اللغوي الذي كتبت به المخطوطات في عهد عثمان ابن فودي، سيتحول إلى عائق حينما تم تنفيذ مشروع فهرستها وتصنيفها في الستينيات والسبعينيات، نظرا لعدم إلمام معظم الباحثين باللغة العربية واللغات المحلية. أحمد محمد كاني، المخطوطات العربية في السودان الأوسط، **دراسات إفريقية**، العدد السابع والعشرون، السنة السابعة عشر، ١٤٢٣/٢٠٠٢م، ص ١٩١.

(٢٦) نجد من بين الأسباب التي فرضت على ابن فودي اللجوء إلى الترجمة من العربية إلى اللغات المحلية، هو معارضة بعض الفئات له، معتبرة أن تعلم العقائد لا يمكن أن يتم بالعربية لوحدها بالنسبة للأعجمي.

(٢٧) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص، ص ٢٠١ـ٢٠٢.

(٢٨) الوزير عبد القادر بن محمد البخاري، **تفسير الأحوال بأخبار الخلفاء في السودان**، مخطوط خاص، بحوزة الأستاذة بهيجة الشاذلي، ص ٢٧.

(٢٩) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ٢٠٣.

(٣٠) نفسه، صص ٢٠٣ـ٢٠٤.

(٣١) Musa Sulaiman, "The Da'wah Approach of Shaykh 'Uthman Dan Fodiyo ", **Islamic Studies - Quarterly Journal**, Vol 28, 4 (1989), p 398.

(٣٢) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ٢٠٣.

(33) Sulaiman Musa, op cit, p 399.

(٣٤) Tabiu Mohammed, "Shari'ah in An Era of Transition: Some Judicial Practices in The Early Days of Sokoto Caliphate ", **Islamic Studies – Quarterly Journal**, Vol 28, 4 (1989), p 377.

(٣٥) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ـ ١٣٦. وأحمد محمد كاني، **الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا**، منشورات الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٧٥.

(٣٦) يونس جبريل حسن، حركة ابن فوديو الصوفية الإصلاحية في شمال نيجيريا وأبعادها النظرية، **ضمن التصوف ودوره في إرساء الروابط والعلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء**، منشورات جمعية الشيخ ماء العينين للتنمية والثقافة، تنسيق ماء العينين النعمة علي، مطبعة الأمنية ـ الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٧، صص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

(٣٧) الطاهر دوباخ، **إمارة عثمان بن فودي في غرب إفريقيا ١٢١٨ ـ ١٢٣٨هـ/١٨٠٤ ـ ١٨١٧م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة الجزائر ٢ ـ أبو القاسم سعد الله ـ كلية العلوم الإنسانية، السنة الجامعية ١٤٤٠ ـ ١٤٤١هـ/٢٠١٩ـ٢٠٢٠م، ص ١٧٧.

(٣٨) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ٢٣٧.

(٣٩) الطاهر دوباخ، المرجع السابق، صص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٤٠) عبد الله عبد الرزاق، الدور الثقافي للشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا، **ضمن اللغة والثقافة في أفريقيا**، أعمال المؤتمر الدولي الثاني، جامعة القاهرة ـ معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، ٢٠٠٨، ص ٤٦٧.

(٤١) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ٢٧٧. عبد الله عبد الرزاق، الدور الثقافي للشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا، ضمن اللغة والثقافة في أفريقيا، أعمال المؤتمر الدولي الثاني، جامعة القاهرة ـ معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر، ٢٠٠٨، ص ٤٦٥.

(٤٢) محمد بلو بن عثمان فودي، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٤٣) الطاهر دوباخ، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٤٤) بهيجة الشاذلي، الفكر السياسي...، نفسه، السنة الجامعية ٢٠٠٠/٢٠٠١، صص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٤٥) عومار عطية، المرجع السابق، ص ٧٩ – ٨٠.

(٤٦) أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص ٧١.

(٤٧) عومار عطية، نفسه، ص ٧٩ – ٨٠.

(٤٨) نفسه، ص ٨٠.

(٤٩) من العلماء الذين اعترضوا منحه الفرصة لتدريس النساء بجانب الرجال، نذكر العالم مصطفى عويني الزنفراوي البرناوي، فجاء رد ابن فودي في كتاب عنونه ب **"تنبيه الإخوان في جواز اتخاذ المجالس لأجل تعليم النسوان على فروض الأعيان"** برر في موقفه قائلا:" **أما أنني أخلط بين الرجال والنساء في حلقات تعليمي فأيهما أفضل أن تتعلم بهذه الصورة إلى أن نتمكن من فصلهن أم البقاء كالوثنيات؟ ثم إني أخلط بينهم كما خلطتهم الصلاة وذلك بجلوس الرجال في الصفوف الأمامية والنساء في الصفوف الخلفية"**. نقلا عن مصطفى الغديري، أسرة أل فودي ودورها في ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا، **ضمن التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى ـ طرابلس، مراجعة وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ/١٩٩٩م، ص ٢٨٢.

(٥٠) Ibrahim M. Zakyi, "Islam in Africa the impact of Dan Fodio's reforms on the Muslim family ", **Hamdard Islamicus**, Vol XXIX, 2 (2006), p 74.

(٥١) أحمد محمد كاني، نفسه، ص ٧١.

(٥٢) عومار عطية، نفسه، ص ٨٠ – ٨١.

(٥٣) محمد بن علي بن محمد السكاكر، **محمد بل والدولة الصكتية في عهده ١٢٣٢ ـ ١٢٥٣هـ/١٨١٦ ـ ١٨٣٧م**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، صص ٥٧ ـ ٥٨.

(٥٤) محمد بن علي بن محمد السكاكر، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(٥٥) بهيجة الشاذلي، دور زعماء الإصلاح الأفارقة (ق.١٩) في إغناء الثقافة العربية الإسلامية نموذج عثمان بن فودي، **ضمن نماذج مشرقة من جهود الإصلاح الإسلامي في إفريقيا إسهامات علماء الغرب الإفريقي في نشر الثقافة الإسلامية**، منظمة الدعوة الإسلامية ـ معهد مبارك قسم الله للبحوث والتدريب، مطابع السودان للعملة المحدودة، طبعة ٢٠١٤م، ص ٦٨.

(٥٦) عبد العلي الودغيري، المرجع السابق، ص ١١٠ ـ ١١١. وعلي هدهودي، المرجع السابق، ص ١١٤.

(٥٧) محمد أحمد بدين، المرجع السابق، ص ٧٧.

(٥٨) بهيجة الشاذلي، المخطوطات العربية الإفريقية ودورها في إعادة قراءة التاريخ السياسي لإفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن التاسع عشر، المملكة المغربية وزارة الثقافة والشباب والرياضة قطاع الثقافة، انظر الموقع الالكتروني:www. Minculture.gov.ma ، ٢٤ يوليوز ٢٠٢١.

(٥٩) Sulaiman Ibraheem, "The Islamic State and The Challenge of History: Ideals Policies and Operation of The Sokoto Caliphate ", **Islamic Studies – Quarterly Journal**, Vol 28, 1 (1989), p 87.

(٦٠) أبو بكر القادري، مذكرات إفريقية وآسيوية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ص ٤١.